

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (١١-١٢): سيدنا عثمان وعلي عليهم
رضوان الله

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٦-٠٩-٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأحبة ، أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء
جديد في برنامجنا عقل وقلب .

حديثنا اليوم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحدثنا عن أبي بكر وعمر ، وتحدثت
اليوم عن سيدنا عثمان وعلي عليهم رضوان الله ، ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ،
فضيلة الدكتور هل لكم أن تحدثونا عن بقية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

إكرام الله عز وجل سيدنا عثمان بن عفان بالمال :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد
الأمين ، الحقيقة أن هناك عبادة اسمها عبادة الهوية ، الذي أكرمه الله بالمال لعبادته إنفاق المال ،
وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يمثل هذا النموذج ، جهز بماله الخاص جيش العسرة ،
واشترى بئراً وجعله وقفاً لكل الناس ، وأنفق إنفاقاً كبيراً حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :



اللهم إني أمسيت راضياً عن عثمان فارضَ عنه ، بل قال : ما ضرَّ عثمان ما فعله بعد اليوم .
وكان يلقب بذي النورين ، لأنه تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الغني أمام خيارات للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى :

الحقيقة المال قوة ، والله عزَّ وجل جعل المال قواماً للإنسان ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

[رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]



بإمكان الغني أن يعمل الأعمال الصالحة التي يعجز عنها معظم الناس، بل كلما ازداد مالك ازدادت خياراتك في العمل الصالح ، فمن إنشاء ميتم ، إلى إنشاء مستشفى ، إلى إنشاء مستوصف، إلى إنشاء دور للعجزة ، إلى تزويج الشباب ، إلى إنشاء بيوت رخيصة ، إلى إطعام الطعام ، هناك أعمال لا تعد ولا تحصى ، الطرائق إلى الخالق بعدد

أنفاس الخلائق ، الغني أمام خيارات للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، ولكن هذا المال أحياناً يصبح دركات يهوي بها الإنسان حينما يسخر للملذات المحرمة ، والانغماس في الأعمال التي لا ترضي الله عز وجل ، فالمال حيادي إما أن يكون سلماً نرقى به أو دركات نهوي بها ، هذا الصحابي الجليل سيدنا عثمان الحبي ، الكريم ، المنفق ، السخي ، يمثل المال في وجوهه الإيجابية، والنبي أتى عليه ثناء كبيراً حينما قال : ما ضرَّ عثمان ما فعله بعد اليوم .

اللهم إني أمسيت راضياً عن عثمان فارضَ عنه ، زوجه ابنته الأولى فلما توفيت زوجه ابنته الثانية .
الأستاذ جميل :

ماذا عن علي رضي الله عنه فضيلة الدكتور ؟

الدكتور راتب :

سيدنا علي هو في الحقيقة عالم كبير ،
وفصيح فصاحة ما بعدها فصاحة ، قال
مرة : " قوام الدين والدنيا أربعة رجال
عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا
يستتف أن يتعلم " ، أخطر شيء في
حياتنا نصف العالم ، لا هو عالم فيفيد
من علمه ، و لا هو جاهل فيتعلم ،
خطير جداً ، بل إن بعض الجامعات



أخطر شيء نصف العالم لا هو عالم فيفيد من علمه
ولا هو جاهل فيتعلم

في بعض الدول المتخلفة هي في الحقيقة جامعة يدخلها الطالب جاهلاً متواضعاً يخرج منها جاهلاً
متكبراً ، أضيف له الكبير فقط ، فهذا الصحابي الجليل كان يؤكد : " يا بني العلم خير من المال ،
لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، يا بني
مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة " .

بلاغة سيدنا علي رضي الله عنه :

بلاغته رائعة حتى إن كتاب نهج البلاغة ينطق بذلك :

قال : " قوام الدين والدنيا أربعة ؛ رجال عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستتف أن يتعلم ، وغني
لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه " ، واضح الآن في تحريك ، قال : " فإذا ضيع العالم
علمه ، أي لا يطبق علمه ، استتف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته
بدنيا غيره " .

ما الذي يزهد الناس في العلم ؟ أن يكون أناس امتهنوا العلم كمهنة وكحرفة ، قال الإمام الشافعي :
" لأن أرتزق بالرقص أفضل من أن أرتزق بالدين " .



كان سيدنا علي على قدر كبير من البلاغة والعلم
والفصاحة

فهذا الصحابي الجليل سيدنا علي له
كلمات رائعة ، قال :

" و الناس ثلاثة ، عالم رباني ، موصول
بالله ، مستتير بنور الله ، مخلص ، ورع
، و متعلم على سبيل نجاة ، القسم
الثالث : و همج رعا ع أتباع كل ناعق
لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجؤوا إلى
ركن وثيق ، فاحذر أن تكون منهم "

صار في عالم رباني ومستمتع على
سبيل نجاة وهمج رعا ع ، بعضهم يقول :

ما الناس سوى قوم عبدوك ، وغيرهم همج همج .

هذا الصحابي الجليل يقول : " رُكِّبَ المَلَكُ من عقل بلا شهوة ، وركِّبَ الحيوان من شهوة بلا عقل ،
وركِّبَ الإنسان من كليهما ، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته
على عقله أصبح دون الحيوان "

هذا الصحابي الجليل في بعض الروايات تؤكد أنه في أعلى درجة من العلم ، والفصاحة ، والبيان ،
وكان شاباً صغيراً حينما دخل في الإسلام ، هذه بعض خصائص هذين الصحابييين الجليلين اللذين
ينتميان إلى منظومة الخلفاء الراشدين .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ذكرنا الصحابة ونريد أن نذكر الصحابييات ، فهناك صحابييات فاضلات نريد أن
نسمع منكم عنهن .

السيدة خديجة المثل الأعلى للزوجة الصالحة الوفية :

الدكتور راتب :

والله أنا أذكر رواية عثرت عليها لكن تأثرت لها كثيراً ؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح
مكة ، دعت بيوتاتها ليبيت عندهم فقال لهم : لا ، انصبوا لي خيمة عند بيت خديجة ، وركز لواء
النصر أمام قبرها ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر .
عاش معها ربع قرن وكانت في سن أمه ، وكان وفاؤه لها منقطع النظير ، مرة تداعبه السيدة
عائشة:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ قَالَتْ : فَعَرْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ : مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشُّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ : مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَأَسْتَيْ بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ))

[أحمد عن السيدة عائشة]

وفأوه عجيب ، أما لو اطلعنا على سيرة هذه الصحابية الجليلة السيدة خديجة لرأينا العجب العجاب ، أنا أتمنى من الأخوة المشاهدين أن يعدوا هذه المرأة المثل الأعلى للزوجة ، كانت زوجة من الطراز الأول ، فلذلك أكرمنا الله بهذه النماذج البشرية الراقية .

عظمة تربية الأولاد في الإسلام :

لكن هناك قصة قد لا تصدق ، النبي عليه الصلاة والسلام خطب امرأة لتكون زوجة رسول الله ، زوجة سيد الأنبياء ، بالتعبير المعاصر لتكون السيدة الأولى فاعتذرت ، الاعتذار لا يصدق ، سألت النبي عليه الصلاة والسلام لما ؟ قالت : لي خمسة أولاد ، أخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهم ، وأخاف إن قمت بحقهم أن أقصر بحقك ، يعني هذه



الصحابية من المستوى الإيماني الرفيع بحيث لم تقبل أن تكون زوجة وهذا الزواج يعفيها من المسؤولية ، مسؤولة أمام الله ، لذلك ورد في بعض الروايات :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبى الزواج من أجلها))

[الأدب المفرد للبخاري]

يعينني من هذا الحديث كم هي عظمة تربية الأولاد في الإسلام .

أولادنا الورقة الرابحة والوحيدة التي بقيت في أيدينا :



أنا أقول دائماً أولادنا الورقة الرابحة ،
وأحياناً أقول الوحيدة ، التي بقيت في
أيدي المسلمين فنحن يمكن أن نواجه
القبلة الذرية بقبلة الذرية :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ

عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢١)

(سورة الطور)

فهذا الصحابية الجليلة اعتذرت عن أن تكون السيدة الأولى من أجل تربية أولادها وهذا درس بليغ
لكل أمهات المسلمين .

الأستاذ جميل :

نتابع الحديث لكن عن التابعين ، التابعون الذين يمثلون الحلقة الثانية في سلسلة النور التي أسسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

توظيف التابعي الجليل عمر بن عبد العزيز منصبه الرفيع لآخرفته :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل سيدنا عمر بن عبد العزيز من كبار التابعين ، وكان خليفة المسلمين ، بل عدّ بحق
خامس الخلفاء الراشدين ، هذا الخليفة كان زاهداً قال مرة : تاقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تاقت
نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها قال : تاقت نفسي إلى الجنة .

هذا التابعي الجليل وظف منصبه الرفيع
وهو المنصب الأول لآخرفته ، للعمل
الصالح ، قد يتوهم الناس أن المناصب
تتناقض مع التدين ، لا أبداً ، هذا
التابعي الجليل سيدنا عمر وصل إلى
أعلى درجات القرب من الله وهو في
أعلى منصب تسلمه وهو خلافة
المسلمين .



عمر بن عبد العزيز وظف منصبه الرفيع ليصل لأعلى
درجات القرب من الله

أرسل أحد الولاة إلى سيدنا عمر رسالة قال فيها : يا أمير المؤمنين ، إن أناساً اغتصبوا مالاً ليس لهم ، لست أقدر على استخراجهم منهم إلا أن أسهمم بالعذاب ، يعني نعذبهم حتى يعترفوا ، فإن أدنت لي فعلت ، استأذنه في تعذيب بشر ، فأجابه عمر : يا سبحان الله ! أتستأذني في تعذيب بشر ؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله ؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله ؟ أقم عليهم البينة ، معك أدلة ، معك مستمسكات ، معك إيصال ، معك تصريح ، معك إقرار ، فإن قامت فخذهم بالبينة ، فإن لم تقم فادعهم إلى الإقرار ، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم ، والإقرار سيد الأدلة ، فإن لم يقرروا فادعهم لحلف اليمين ، فإذا حلفوا فأطلق سراحهم ، وأيم الله ، لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم .

ما هذه الحرية والديمقراطية إن صحّ التعبير ؟ ما هذه القنوات الشرعية لأخذ الحقوق ؟ هكذا كان فهم هذا التابعي الجليل .

من الطرف أن أحدهم قال لمن هو إلى جانبه ، أقطعني سليمان بن عبد الملك أراضٍ واسعة وجاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله فانتزعها مني ، دون أن يشعر ترحم على من انتزعها منه ولم يترحم على الذي منحه إياها ، لأن العدل أساس الملك .

ورع الحسن البصري و استغناؤه عن دنيا الناس :

كان هذا التابعي الجليل من الورع بمكان ، لذلك نحن عندما نرى مثل هؤلاء نرى الناس بخير ، أستاذ جميل الحسن البصري أيضاً من كبار التابعين سئل مرة بما نلت هذا المقام ؟ فقال بحاجة الناس إلى علمي واستغنائهم عن دنيا الناس ، متى يرتفع العلم ؟



كان الحسن البصري ورعاً مستغنياً عن دنيا الناس

إذا كان العالم مستغنياً عن دنيا الناس وكان الناس بحاجة إلى علمه ، فإذا انعكست الآية إذا استغنى الناس عن علم العالم ، وكان هو بحاجة إلى ما عند الناس سقط العلم ، لذلك مرة كان هذا التابعي الجليل "الحسن البصري" عند والي البصرة ، فجاء توجيه من الخليفة يبدو أنه لو نفذ أمر الوالي لأغضب الله عز وجل ، ولو لم ينفذه

لأغضب الخليفة ، وربما عزله ، فوقع في حيرة من أمره ، وعنده الإمام الجليل الحسن البصري ، قال له : إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله .

لذلك هذا التابعي الجليل الحسن البصري
أدى رسالة العلم ، بيانه أغضب الحاج
، فقال لجلسائه يا جبناء والله لأروينكم
من دمه وأمر بقتله، وجاء بالسياف
ووجيء بالنطع ومُدّ ولم يبق إلا قطع
رأسه ، فلما دخل على مجلس سيفتل فيه
، رأى السياف ينتظر، والنطع قد مُدّ
فحرك شفتيه بكلام ما سمعه أحد ، فإذا
بالحجاج يستقبله يقول: أهلاً بأبي سعيد



، أنت سيد العلماء ، ومازال يقربه من مجلسه حتى أجلسه على سريريه واستفتاه ، وأكرمه ، وعطره ،
وضيفه ، وشيَّعه إلى باب القصر ، السياف صُقع وكذلك الحاجب ، تبعه الحاجب قال : يا أبا
سعيد ، لقد جيء بك لغير ما فعل بك ، ماذا قلت لريك ؟ قال له : قلت : يا ملاذي عند كربتي ، يا
مؤنسي في وحشتي ، اجعل نغمته عليّ برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم .
هذا الموقف يؤكد مقولته لوالي البصرة إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله .
مرة أبو جعفر المنصور سأل الإمام الجليل أبا حنيفة النعمان ، قال له : يا أبا حنيفة لو تغشيتنا ،
فقال : ولم أتغشاكم وليس عندكم شيء أخافكم عليه ؟ وهل يتغشاكم إلا ما خافكم على شيء ، إنك
إن أكرمتني فتننتي ، وإن أزريت بي فتننتي أيضاً .
فلذلك كان العلم عزيزاً ، والعلماء أعزوا علمهم فانتهج الناس بعلمهم ، فإذا قصر العالم في إعزاز
علمه وفي ترفعه عن دنيا الناس قد لا يؤدي العلم وظيفته .

القاضي شريح و قصته مع زوجته الصالحة :

على كل من هؤلاء التابعين القاضي شريح ، القاضي شريح لقيه صديقة الفضيل فقال له : يا شريح
كيف حالك في بيتك ؟ قال : منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي ، قال : وكيف ذلك يا
شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة



فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً
وكمالاً ، يقصد صلاحاً في دينها وكمالاً
في خلقها ، أي فقيهة متعلمة وجميلة ،

سيدنا عثمان وعلي عليهم رضوان الله

وفق شريح في زواجه من امرأة ذات صلاح وكمال
في الدين والخلق

فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة ، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها ، فقالت لي : على رسلك يا أبا أمية (أي انتظر) فقامت فخطبت ، قالت : أما بعد ، يا أبا أمية إني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل ما تحب حتى آتية وما تكره حتى أجتنبه ، وبأ أبا أمية قد كان لك من نساء قومك من هي كفاء لك ، وكان لي من رجال قومي من هو كفاء لي ، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتق الله في وامتثل قوله تعالى :

﴿ فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ (٢٢٩) ﴾

(سورة البقرة)

أي زواج بني على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين :

القاضي شريح ليلة عرسه ما كان يفكر أن يلقي خطبة ، ثم فعدت

قال : فألجأتني إلى أن أخطب ، وقف وقال : أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجرأ ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، الآن دقق ، ما وجدت من حسنة فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها . قالت : كيف تنزور أهلي وأهلك ؟ قال : نزورهم غيباً مع انقطاع بين الحين والحين حتى لا



يملونا .

وفي الحديث الشريف :

((زر غيباً تزدد حباً))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]

قالت : فمن من الجيران تحب أن أسمح لهم بدخول بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم

سيدنا عثمان وعلي عليهم رضوان الله



غير ذلك ، قال : ومضى عليّ عامٌ جئتُ إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا فلماً دخلت رَحَبْتُ بها أجمل ترحيب ، قالت لي أمها : يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت : والله هي خير زوجة ، قالت : يا أبا أمية ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدللة فوق الحدود ، فأدب ما شئت أن تؤدّب وهذّب ما شئت أن تهذّب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة .
 نستفيد من هذه القصة أن أي زواج إذا بني على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما ، وما من حديث شريف ينطبق على الزوجين المؤمنين كهذا الحديث :

((والذي نفس محمد بيده : ما تواد اثنان ، ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد عن ابن عمر]

الأستاذ جميل :

سؤال أخير ، كيف اللحاق بهذا الركب ، ركب الصحابة والتابعين ؟ أم أنهم حازوا فضل السبق فلا لحاق بهم ؟

التزام منهج الله عز وجل طريق الإنسان للحاق بركب الصحابة و التابعين :

الدكتور راتب :

والله الأبواب مفتحة على مصارعها لكن مقام سيدنا الصديق هذا مغلق ، هذا مكان الصديقة مغلق أما البقية مفتوح ، اشتقت لأحبابي ، قالوا : لسنا أحبابك ؟ قال : لا ، أنتم أصحابي ، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ، أجرهم كأجر سبعين ، قالوا : منا أم منهم ؟ قال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون ، لذلك :

((عبادة في الهرج كهجرة إلي))

[مسلم عن معقل بن يسار]



هذه طمأنة للأخوة الكرام الذين التزموا منهج الله في ظروف صعبة جداً .

الأستاذ جميل :

نشكر لكم فضيلة الدكتور هذا الكلام الطيب ، وشكراً لكم أيها الأخوة المشاهدون نراكم إن شاء .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين